الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues



كلية اللغات والأدب العربي

قسم: اللغة والأدب العربي

صورة المرأة في أدب المرابطين
– نزهون القلاعية –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة:
*** داود دليلة**

إشراف:
*** عزي رشيد**

السنة الجامعية

2013/2012

الإهداء

أهدي هذا العمل إلي نبع الطيبة كلها وبحر الحنان الذي لا ينشف :

أبي الحنون الذي لم أر أبا مثله في الدنيا .

إلى الشمعة التي أنارت دربي منذ نعومة أظافري: أمي العزيزة الغالية

وإلى أختي نبيلة وخوخة وزوجها حكيم والكتكوت أيوب.

وإخوتي بوجمعة ، عاشور ، كمال .

دون أن أنسى صديقتي وأختي رزيقة .

وخاصة زوجي العزيز الذي لم يبخل عليّ بعطائه المادي والمعنوي

في تحقيق طلباتي ومساعدته لي.

دون أن أنسى أستاذي المحترم " عزي رشيد " الذي لم يبخل علينا بنصائحه وحسن تعامله معنا وإلى كل من احتل مكانة طيبة في مخيلتي



مقدمة:

حينما بدأنا التفكير في اختيار موضوع للبحث، أول ما لفت انتباهنا أن أدب المرابطين لم يحظ باهتمام الدارسين كما حظيت باقي الآداب الأخرى، فكان نصيبه من البحث قليلا جدا وبالخصوص الأدب النسوي، الذي ظل متناثرا في كتب التاريخ الأندلسي مثل: "نفح الطب" للمقري التلمساني، و"الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني وغيرها من الكتب، كما لاحظنا أن التاريخ يحمل بين يديه شاعرات ويخفي بين ردائه أخريات، لذلك اخترنا الشاعرة نزهون القلاعي لنظهر مكانتها الشعرية ومكانتها كامرأة في عهد المرابطين، ولهذا السبب اخترنا صورة المرأة في أدب المرابطين كموضوع لبحثنا، فكان الهدف من هذا البحث هو كشف الحجاب عن أدبهم ودراسته، وإظهار أصلهم وبداياتهم الأولى، فكانت الإشكالية التي انطلقنا منها وجعلناها الفكرة المحورية لموضوع بحثنا هي:

- من هم المرابطين؟ ما هي مكانة الأدب عندهم؟
- ما هي مكانة المرأة في أدب المرابطين؟
- وكيف كانت نزهون القلاعي كنموذج وصورة لهذه المرأة؟

وهكذا جاء بحثنا في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فالفصل الأول والثاني تناولنا فيه الجانب النظري من البحث

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه الجانب التطبيقي.

فجاء الفصل الأول بعنوان "المرابطون وأصلهم وأدبهم".

واحتوى على ثلاثة مباحث:

في المبحث الأول تحدثنا عن أصل كلمة الرباط وأصل المرابطين ودولتهم.

أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الحديث عن المرابطين في الأندلس، والحياة السياسية أثناء حكمهم فيها.

أما المبحث الثالث فقدمنا فيه دراسة لأدب المرابطين في مجال الشعر والنثر.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان "مكانة المرأة في الأدب عند المرابطين" واحتوى على ثلاثة مباحث:

ففي المبحث الأول عالجنا المكانة الاجتماعية والسياسية والأدبية للمرأة عند المرابطين.

المبحث الثاني تحدثنا عن النساء الشاعرات في عهد المرابطين.

المبحث الثالث فدرسنا فيه أغراض الشعر النسوي في عهد المرابطين.

الفصل الثالث: خصصناه للجانب التطبيقي من البحث فجاء بعنوان "الصور الشعرية لنزهون القلاعي" ويحتوي على خمسة مباحث.

فالمبحث الأول: عرفنا فيه الشاعرة نزهون ومميزات شعرها.

المبحث الثاني تحدثنا فيه عن مساجلة نزهون والمخزومي الأعمي.

المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى مناظرة نزهون لابن قزمان الزجال.

أما المبحث الرابع فعرجنا إلى الحديث عن ما كان بين نزهون وأبي بكر بن سعيد من علاقة ود ولقاء.

وفي الأخير جاء المبحث الخامس دراسة الصور الشعرية لنزهون.

وأما المنهج الذي اعتمدناه في بحثنا هو المنهج الوصفي وذلك أثناء حديثنا عن أصل المرابطين ودولتهم، وعند ذكرنا لشاعرات تلك الحقبة، وكذلك المنهج النقدي حيث اعتمدناه عند دراستنا لأدب المرابطين وأغراض الشعر النسوي وشعر

نزهون حيث كنا ننقد أحيانا لنبين ما نراه جيدا وما نراه غير ذلك أما أهم والمراجع التي اعتمدنا عليها:

تاريخ الأدب العربي: لعمر فروخ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر مج6 لابن خلدون، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي لمحمد الأمين بلغيث وغيرها.

أما بالنسبة لكتب التراجم: فاعتمدنا عليها فيما يتعلق بحياة الشاعرات وشعرهن "كنفح الطب" للمقري التلمساني، "الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني وغيرها.

وقد واجهتنا عقبات في الحصول على بعض المصادر والمراجع لموضوع بحثنا، ولكن رغم ذلك فقد حاولنا بإصرارنا وإلحاحنا في إنجاز هذا البحث وإتمامه.

ولا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ونخص بالذكر أستاذنا المشرف: "عزي رشيد".

الفصل الأول

المبحث الأول: أصل كلمة الرباط والمرابطين:

قبل الخوض في الحديث عن أدب المرابطين أردنا أن نعرج إلى أصل كلمة الرباط والمرابطين ودولتهم.

1- أصل كلمة الرباط والمرابطين:

- **أصل كلمة رباط:** لما بحثنا عن كلمة رباط وأصلها في المعاجم المختلفة مثل: تاج العروس، لسان العرب، والعين ...إلخ وجدناها كلها تتفق في معنى واحد ومتقارب وهو كالتالي:

أ) **التعريف اللغوي لكلمة رباط:** هو رَبَطَ الشَيْءُ يَرْبِطُهُ رَبْطًا فهو مَرْبُوطٌ، الرِّبَاطُ مَا يُرْبَطُ بِهِ والجمع رُبُطٌ، وَرَابِطُ الدابَة وُيَرْبِطُهَا رَبْطًا، وَدَابَةُ رَبيطْ مَرْبُوطَةٌ، والمَرْبَطُ والمَرْبَطَةُ ما رُبِطَ بِهِ، والمَرْبَطُ مَوْضِعْ رَبْطِهَا[1].

ب) **التعريف الاصطلاحي:** الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدوّ وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباط[2]، كما تطلق كلمة الرّباط على الحصن الحربي الذي يقام في الثغور لمواجهة العدوّ والذّود عن ديار المسلمين وهذه التسمية مقتبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[3]، وذلك في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّـــهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[4]، قوله تعالى أيضا: (وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـــهِ وَعَدُوَّكُمْ)[5].

1- ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1374هـ -1900 م، ص 551.

2- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مج1، ط4، دار غريب، مصر، 2008م، ص 34.

3- البخاري، الجهاد و السيرة، ط1، دار ابن بكثير، بيروت، لبنان، 1414هـ -1993م، ص 83.

4- سورة آل عمران، الآية 200.

5- سورة الأنفال، الآية 60.

ومن خلال هذه الآيات الكريمة ندرك معنى كلمة رباط ففي الآية الأولى وردت بمعنى أقيموا الجهاد، وفي الآية الثانية وردت بمعنى الثغور التي تقام لمواجهة العدو.

ومن ثمة استعير الرباط إلى مسكن العباد وأهل الطرق الصوفية، فقيل لمن يقوم بمثل هذه الرباط المعدة للعباد و الطاعات مرابط[1].

هذا بالنسبة لأصل كلمة رباط و معناه في بعض المعاجم المختلفة.

أما بالنسبة لأصل المرابطين أو الملثمين فلنا كلام آخر يخص عرقهم والبلاد التي أتوا منها، و كيف كانت بدايتهم الأولى؟

2- أصل المرابطين ودولتهم:

أ) أصلهم:

يعد المرابطون الطبقة الثانية من صنهاجة، كانوا يعيشون في الصحراء منذ دهور قبل الفتح الإسلامي لا يعرف أحد أولها[2]، اشتهروا باسم الملثمين لأنهم كانوا يتلثمون بعمائم[3]، بمعنى آخر لأنهم كانوا يضعون خمرا على وجوههم نساء ورجال، ليحميهم من حرارة الصحراء اللافحة، وفي اتخاذ هذا اللثام اختلافا بين المؤرخين[4]، وكان دينهم جميعا المجوسية شأنهم شأن باقي برابرة المغرب حتى إسلامهم بعد الفتح الإسلامي، بعد ذلك امتازت فخذة منهم وهي لمتونة باقيهم بالرئاسة والسيادة خصوصا بعد إسلامهم[5]، ثم ظهر فيهم يحي بن إبراهيم الكدالي وهو أحد زعماء قبائل صنهاجة التي تسكن الصحراء "صحراء سنحيط" وهي موريتانيا حاليا وهو رجل صحيح الإسلام وقد استاء أن يرى الجهل بالدين فاشيا بين

1- محمد الأمين محمد و محمد علي الرّحماني، المفيد في تاريخ المغرب للسنة الثالثة من الطور الثانوي، الدار البيضاء، المغرب، ص 111.

2- ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر، مج6، ط3، القاهرة، مصر، 1284م، ص 214.

3- عبد الرحمان الجلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 307.

4- محمد الأمين بلغيث، نظرات في فن تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية، الجزائر، ص 10.

5- المرجع نفسه، ص 214.

هذه القبائل فأتى بفقيه من أهل الدين وهو عبد الله بن ياسين الجزولي ليقوم بالدعوة والإرشاد لهذه القبائل وتعليمهم أصول الدين، فوجد القوم هناك على جهل لا يفرقون بين حلال أو حرام، لا يعرفون من الإسلام غير الشهادتين ويتزوجون أكثر من أربعة نساء، فجعل يعلمهم القرآن ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فقضى عبد الله بن ياسين إحدى وعشرين سنة في تربية المرابطين وإعدادهم دينيا وروحيا إذا اقتضى الأمر[1].

فلما استشهد الزعيم المرابطي ابن ياسين فولّى أمرهم بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي لم يلبث أن سلم سلطته لابن عمه يوسف بن تاشفين الذي كان بدوره رجلا ذا حزم وعزم فخرج بجيشه يفتح مدن المغرب ولم تأت سنة 454ه /1062م حتى دان له كل المغرب الأقصى، والأوسط فنقل ملكه من فاس إلى مراكش التي بناها في ذات السنة حيث أصبحت عاصمة المرابطين[2].

إذن هذا هو أصل المرابطين الذي تحدثنا عنهم باختصار ولم نتحدث عنه بالتعمق هذا لأن موضوعنا ليس تاريخي حتى لا نذكر كل الجوانب بل اكتفينا بذكر المهم فقط.

3- دولة المرابطين الدعوة والتكوين:

عندما نتكلم عن أي دولة في التاريخ نتساءل عن تاريخ بدايتها ونهايتها وطبعا الحديث عن أسسها.

أ) تكوين الدولة:

تكونت دولة المرابطين في الطرف الغربي الجنوبي من إفريقيا الغربية بداية من سنة 429هـ/1037م وهي بداية التاريخ الكرونولوجي المؤسس لجيل

[1]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، مصر، ص 103.

[2]- المرجع نفسه، ص 104،105.

المرابطين إلى غاية تأسيس عاصمتها مراكش، حيث بدأت مرحلة ثانية من التوسع نحو الشمال للقضاء على دويلات الطوائف[1].

هذا طبعا بالنسبة لتكوين الدولة أما بالنسبة للدعوة فهل كانت دعوة مذهبية؟ أم دعوة حربية؟ أم دعوة دينية بحتة؟

ب) **الدعوة:**

أما عن الأساس الذي قامت عليه دعوة هذه الدولة فهو العلم مع الاهتمام بعلوم الدين، وأما شعارها أو طابعها الخاص فهو الزهد والتقشف، وأما عن الدستور الذي سارت عليه منذ نشأتها فهو العمل على إصلاح الفساد، ونشر الفضائل الدينية، وتطبيق الشريعة الإسلامية كما جاء بها صاحب الرسالة المحمدية[2]، فاستعملت في أسلوبها القسوة مع الكافر والتسامح مع التائب والصالح[3]، وهي إلى جانب آخر دعوة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بها الداعية عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين كما يلقبه القدماء[4].

كذلك الأمر بالنسبة لتاريخ السقوط فلا توجد دولة أيضا في التاريخ ليس لها أسباب سقوطها أو تاريخ زوالها.

ج) **دولة المرابطين ومرحلة السقوط:** لا توجد دولة في فضاء التاريخ الإسلامي قد لقيت من الإجحاف والنسيان كدولتي الأمويين والمرابطين لسبب بسيط وهو أن الدولتين من ضحايا دول مذهبية قوية، فالدولة العباسية التي أسقطت دولة الأمويين استطاعت طمس تاريخ بني أمية وكتبت تاريخهم كما يحلو للمؤرخ الرسمي العباسي، كما أن دولة المرابطين كانت ضحية لدعوة أعلنت الحرب النفسية على المرابطين فحملتهم أوزار كل مآسي الغرب الإسلامي مع العلم وللحقيقة التاريخية أن

---

[1]– محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 09.

[2]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين والموحدين، مج4، ص 105.

[3]– محمد الأمين محمد، المفيد في تاريخ المغرب، ص 145.

[4]– المرجع نفسه، ص 10.

أجيال المرابطين من عصبية لمتونة ضحوا بكل طاقتهم البشرية من أجل حماية الأندلس وحدها[1].

والكلمة الأخيرة في هذا المبحث هي أن رغم ما مر به المرابطون في البداية من الصعوبات إلا أنهم استطاعوا أن يتوحدوا ويؤسسوا دولة يذكرها التاريخ، رغم أنها كانت ضحية لدولة مذهبية حاولت طمس تاريخها ووجودها.

[1]– محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 10.

المبحث الثاني: المرابطون في الأندلس

1) المرابطون في الأندلس:

في الوقت الذي بلغت فيه دولة المرابطين بالمغرب ذروة قوّتها على سد سلطانها يوسف بن تاشفين، كانت بلاد الأندلس إلى جانب آخر تعاني من الغزو المسيحي، بسبب ملوكها الذين انقادت أنفسهم وراء المجون و اللهو.

2) **معركة الزلاقة:** عندما شرع النصارى يشنون غارتهم اللاحقة على أراضي المسلمين في إسبانيا، فسقطت الكثير من بقاعها في أيدي العدوّ، اضطر أمراؤها إلى دفع الجزية لهم آنذاك اجتمع ملوك الطوائف وأمرائهم للتذاكر في علاج الموقف الخطير، فلما تأكدوا أن لا سبيل لديهم لإنقاذهم قرّر رأيهم إلى استدعاء أمير المرابطين العظيم يوسف بن تاشفين[1]، فجاز يوسف إلى الأندلس والتقى ألفونسو السادس في "**الزلاقة**" أو ساقرلياس وانتصر عليه فرد خطره على ملوك الطوائف فترك جميع الغنائم لهم كما ترك لهم أربعة ألاف جندي من جنوده البربريين ثم عاد إلى مراكش، غير أن ملوك الطوائف عادوا إلى التنازع مرة أخرى، ولما جاز يوسف للمرة الثانية جعل ملوكها يتآمرون عليه مع الإسبان فرجع فلما عاد للمرة الثالثة سنة 483هـ/1090م[2]، انهزم النصارى أمامه فكان الظهور للمسلمين الذين اقتحموا عامة الأندلس إلا " سرقسطة " التي انظمت كلها في مملكة يوسف فمن ذلك سمي بأمير المسلمين[3].

وهكذا دخل الملثمين بلاد الأندلس ليؤسسوا بداية جديدة لبداية حكم جديد، فكيف كانت سلطة المرابطين؟ وكيف تعامل يوسف بن تاشفين مع المصالح العامة هناك؟

1– محمد الأمين محمد، المفيد في تاريخ المغرب، ص 122.

2– عمر فروخ، تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين، ص 33.

3– ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، مج6، ص 222.

3) الأندلس في ظل حكم المرابطي:

لقد عادت للأندلس وحدتها بعد انهيار دولة الطوائف وانهزامها ومرد ذلك إلى قوة حاكمها يوسف بن تاشفين وحنكته، فقد كان شخصية فذّة أجمعت المصادر على وصفه بالبطولة والشجاعة والعدل والتقشف، والمحافظة على شؤون الشريعة والاهتمام بالمصالح العامة وتفقد الولاة والحكام[1]، وبفضله امتد الحكم الإسلامي هناك مائة عام أيضا، غير أن نفرا من مؤرخي السياسة والأدب يحملون عليه ويتهمونه بالاستبداد وبحب الاستيلاء على الدويلات الأندلسية الصغيرة، والواقع أن يوسف بن تاشفين قد أحسن صنعا لأنه حفظ العرب والعروبة والإسلام في الأندلس فأما الذين ذموه فكانوا بعض من الأدباء والشعراء الذين يتكسبون بالمال[2]،أما ابنه علي الذي تولى الأمر بعده فبرغم اتصافه بالعدل والتدين والفضل لم يكن له من الحنكة السياسية والقوة كأبيه[3].

وهكذا استطاع الملثمون أن يوسعوا دولتهم بفضل حنكتهم السياسية وقوتهم العسكرية وأن يوسعوا من نطاق دولتهم حتى وصل بهم التوسع إلى بلاد الأندلس.

4) الحياة السياسية والإجتماعية:

أ) الحياة السياسية:

إن حكم المرابطين في الأندلس كان مثل كل حكم في أيّ مكان آخر وفي كل زمان آخر: أمنا وعدلا وازدهارا في أيام قوتهم، ثم ضعفا واضطرابا في أيام ضعفهم حينما آل أمرهم للزوال.

فقد استطاع المرابطون أن يوحدوا البلاد التي يسيطرون عليها: المغرب، الأندلس والسودان الغربي)، ثم أنهم نشروا الأمن وأبعدوا العدوان المسيحي في

---

[1]– محمد مجيد السعيد، الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، ط3، دار الراية للنشر، الأردن، 1429هـ/2008م ، ص 21.

[2]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين والموحدين، ج4، ص33.

[3]– المرجع نفسه، ص 22.

الأندلس، فحكموا بالشرع الإسلامي، وألغوا الضرائب الكثيرة الجائرة من تلك التي كانت أيام ملوك الطوائف والتي كانوا يجمعونها بأسماء مختلفة[1]، فلم يأخذ من الشعب إلا ما أوحته الشريعة الإسلامية[2]. فانتشرت الزراعة وازدهرت الصناعة واتسعت التجارة الداخلية والخارجية حتى أن أوروبا المسيحية كانت تعتمد في تجارتها في الصادر والوارد على بلاد المسلمين[3].

هذا بالنسبة للجانب السياسي الذي اتسم بالنظام والهدوء في شتى المجالات خصوصا بعدما ألغيت تلك القوانين الجائرة التي كانت أيام ملوك الطوائف.

ب) **الحياة الإجتماعية:**

نحن ندرك أن الملثمين قوم وسكان الأندلس قوم آخر فهم مختلفون في الثقافة والجنس وجميع النواحي، فكيف كانت نتيجة اختلاط المغاربة بالأندلس؟

لقد كانت لاختلاط المغاربة بالأندلسيين حسنات وسيئات، ولاشك أن اختلاط الشعب القوي بالشعب الضعيف إذا اتفقا في الحضارة والثقافة يزيد من قوتهما، فازدياد السكان في الأندلس[4] فقيام المرابطين بالوقوف في وجه العدوان الأوروبي المسيحي كانت له نتائج حميدة، ولكن لما ضعفت السلطة قليلا ثم زاد العنصر المغربي حدث شيء من الاضطراب فالمرابطين المغاربة البربر كانوا أقرب في طباعهم إلى البداوة و الجفاء[5] فكانوا يعيشون في شبه عزلة من سكان الأندلس، ثم إنهم استطاعوا بقوتهم السياسية والحربية أن يتسلطوا على السكان الأصليين، فنشأ شيء من النفور بينهم خصوصا حينما كانت جماعات من المرابطين يتجولون في البلاد ويحملون أسلحتهم، وربما اعتدوا أثناء ذلك على الناس، مما شجع ذلك نفرا من سفهاء الأندلس فتلثموا تقليدا بالمرابطين وحملوا السلاح مثلهم وطافوا في البلاد

[1]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين والموحدين، ج4، ص35.

[2]– محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين، ص50.

[3]– المرجع نفسه، ص 35.

[4]– المرجع السابق، ص36.

[5]– محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص111.

يعيثون فيها الفساد، فهذا الطابع العام المحرك لشؤون الرعية ذا أثر كبير على المجتمع، فقد نمت بسببه طبقة معينة مستغلة اغتنت على حساب الجماهير الفقيرة وهذه الطبقة هي مجموعة من الفقهاء[1].

وأخيرا يمكن القول أن المرابطين استطاعوا بفضل حنكتهم السياسية والعسكرية أن يدخلوا بلاد الأندلس ويثبتوا وجودهم فيها ويوحدوا دويلاتها رغم الاختلافات الاجتماعية بين شعب الأندلس وشعب الملثمين.

[1]– محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 36.

المبحث الثالث: الأدب عند المرابطين

1) الحياة الأدبية عند المرابطين:

أما بالنسبة للأدب فقد قيل أنه لم يزدهر في أيام المرابطين لأنهم كانوا لا يفهمون الشعر ولا يتقنون اللغة العربية وهنا موضع تساؤلات؟!

لا شك أن الملثمين قوم امتازوا بالخشونة والقسوة في سلوكهم وتصرفاتهم، واعتادوا البداوة والتعصب في معتقداتهم، فلا يمكن أن تلين قناعتهم وتتكيف لمناخ الفكر المثقف بالأندلس خلال السنوات الأولى(1)، وهذه المبالغة على المرابطين نجدها خصوصا عند المستشرقين أو عند بعض الدارسين العرب الذين ساروا على منوالهم، كما أن بعضهم الآخر يرى أن عنايتهم بالأدب نثره وشعره لم تكن مثل عناية ملوك الطوائف بهما، لكن رغم هذا التسلط الذي رافق المرابطين في بداية اتصالهم بالأندلس من طرف النقاد والدارسين إلا أنهم سرعان ما تشبهوا بأهل البلاد في التحضر والوعي الثقافي(2).

2) في مجال الشعر:

لقد قيل أن الشعر في عهد المرابطين أصيب بالضعف والتراجع كما يعبر عن هذا عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي في عهد المرابطين والموحدين حيث يقول: "أن الشعر أصيب بالكساد في عصر المرابطين". وذلك الكساد كما كنا قد رأينا راجع إلى أن يوسف بن تاشفين لا يفهم الكلام العربي السائر ضف إلى ذلك انحطاط الشعر الفصيح وهذا ما جعل عمر فروخ يستعمل هذه اللفظة. فقد ذكر المستشرق نيكل في كساد الشعر فقال: "بعد سقوط ملوك الطوائف في أثناء عصر المرابطين انحط نظم الشعر المألوف (الفصيح) انحطاطا كبيرا...".

1– عمر فروخ، تاريخ الأدب عند المرابطين والموحدين ، ص66.

2– سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، أغراضه وخصائصه، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 1995م، ص150.

وهذا ما ذهبت إليه أيضا أنخال جنثالث بالنثيا، حتى إحسان عباس يقول: حتى إذ دخل عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر أكثر من ذي قبل" وندعم ذلك بما يرويه الشقندي عن يوسف بن تاشفين مثلا كان لا يفهم الشعر العربي ويستعين لفهمه بمترجمين حيث يقول أن المعتمد كتب رسالة له فيها:

وبينكم وبنا فما ابتلت جوانحنا	شوقا إليكم و لا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنـــا فغـــدت	سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرأ عليه هذان البيتان قال يوسف للقارئ : يطلب منا جواري سودا و بيضا؟

فقال: لا يا مولانا، ما أراد إلا ليلة كانت بقرب أمير المسلمين نهارا لأن ليالي السرور بيض، فعاد ببعد أمير المسلمين ليلا لأن أيام الحزن ليال سود، فقال: والله جيد أكتب له في جوابه: "إن دموعنا تجري عليه ورؤوسنا توجعنا من بعده".

فهذه الرسالة تعطي صورة مشوهة و مقصودة لابن تاشفين لأن الشقندي ألّف رسالة يطلب من أمير الموحدين و نحن نعلم أن الموحدين يبغضون المرابطين.

أما علي بن يوسف فكان أحسن باللغة العربية، كذلك بعض الأمراء المرابطين من الشبان فقد حاولوا أن يتنافسوا أسلافهم (ملوك الطوائف) ويزيد عليهم في تشجيع الشعر خصوصا مثل الموشح والزجل لقربهما من مستواهم الاجتماعي و الفكري والخلقي[1].

ومن هؤلاء الأمراء إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي عُرف برعايته للأدب والأدباء ويذكر أن الشاعر ابن خفاجة في مقدمة ديوانه أنه انقطع زمنا طويلا عن الشعر، ولكن الأمير إبراهيم جعله ينعطف إليه ثانية[2].

[1]- عمر فروخ، تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين، ص 66.

[2]- جرار صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي،ط1، القاهرة، مصر، ص 88.

فمهما يكن من آراء حول تراجع منزلة الشعر في عهد المرابطين إلا أنه كان هذا الحاكم الأول فقط (يوسف بن تاشفين) إلا أن علياّ و نفرا أتوا بعده اهتموا بذلك اهتماما مختلفا، وهذا ما يُثبت وجود شعراء في الأغراض المختلفة.

أ) غرض المدح:

كان غرض المدح من دون فنون الشعر العربي مرتبطا على مدى التاريخ الأدبي بالسياسة والحكم وذوي الجاه والنفوذ. فهل انعدم المدح أيام المرابطين؟ أم أن يوسف بن تاشفين لا يستحق المدح وهو الزعيم الذكي المحنك؟

إن المدح يتأثر سلبا وإيجابا بموقف السلطة منها ينمو ويزدهر، يجود ويتسع إذا لقي تشجيعا ورعاية بينما يخمل ويذبل حين يهمله أهل السلطة[1]، فالمداح أيام المرابطين عانى أزمة ذات حدين مادية وفنية فممدوحه لم يعد ذلك الملك الجواد الذي يهب بالإضافة إلى الوضع السياسي في هذه الفترة، ناهيك عن السبب الرئيسي أن السلطان يوسف كان زاهدا، وأكثر من هذا كان لا يتذوق الشعر ولعلنا نضيف سببا آخر وهو بُعد مركز الحكم عن الأندلس فالعاصمة كانت في المغرب وبذلك صعب على الشاعر السفر وقطع البر للوصول إلى أعتاب الملوك، فاكتفى بتوجيه المديح لممثليهم و أبنائهم[2].

وقد مدح بعض الشعراء أمراء المرابطين في مجالس الشعر كالذي نجده في شعر ابن خفاجة، ابن باجه، أبي القاسم المواعيني والأعمى التطيلي...إلخ[3].

ومن أمثلة غرض المدح:

1- ابن خفاجة يمدح إبراهيم بن يوسف اللمتوني يقول:

لا لعمر المجد و الكرم   ومضاء السيف و القلـــــم

---

[1]- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 85.

[2]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج3، تح: إحسان عباس دار صادر، بيروت لبنان، 1968، ص 191.

[3]- صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص 41.

لا ينال الدهر من جهتي | وبإبراهيم معتصمـــــــــي
الإمام المستقبـــل بـــه | ركن لبيت الفضل والكرم[1]

ونحن ندرك أن إبراهيم بن يوسف له الفضل في إرجاع ابن خفاجة إلى كتابة الشعر فكيف لا يمدحه.

2- في اللثام الذي يضعه المرابطون على وجوههم

وتلثموا صونا لرقة أوجه | جعل السماح شعارها ودثارها[2]

وبذلك فإن غرض المدح كان موجودا أيام المرابطين لكنه تحول من مدح الملوك إلى الأمراء والقضاة وأشياء أخرى.

ب) غرض الغزل:

استطاع الشاعر الأندلسي بصفة عامة والمرابطين بصفة خاصة أن ينقل في غرض الغزل أسلوبا جديدا تحقق فيه شيء كثير من الوضوح و البروز. لقد ظلت القصيدة الغزلية تدور حول اتجاهين منفصلين ومتباعدين وهما الاتجاه العفيف والاتجاه الحسي.

1- الاتجاه العفيف:

وهو نوع يتسم بالتسامي في العواطف والنزاهة فالشاعر أو العاشق هنا يحس بنوع من الاضطراب والقلق دون أن يتذوق السعادة حتى ولو كان قريبا ممن يهواه، ورغم أن المرأة في المجتمع الإسلامي كانت تنعم بالحرية إلا أن الغزل لم يكن حسيا بل لديهم قصائد الوله والحب العفيف[3].

---

[1]- ابن خفاجة، الديوان، تح: السيد مصطفى غازي، مطبعة المعارف الإسكندرية، 1960، ص 108.

[2]- ابن خاقان، قلائد العقيان، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1320هـــ، ص 276.

[3]- محمد مجيد سعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 164-165.

فمن الشعراء المرابطين الغزّالين نجد محمد بن يحي بن حزم الذي يمثل هذا الاتجاه يقول وهو يجعل القمر حاسدا له في مشاركته فيما هو فيه من تمتع بجمال الحبيب:

والبدر من حسد يجمجم قوله   ما صر مجدك لو شركتك فيه[1]

2- الاتجاه الحسي:

فأما هذا الاتجاه فإنه يكون أكثر شيوعا و انتشارا والشاعر في هذا اللون يحدثنا عن عيون حبيبته وشعرها وخدودها ...إلخ. ومن صفات الغزل التغزل بالشعر الذهبي والعيون الملونة لاسيما أن الجواري والقيان معظمهن من الأوروبيات اللائي جاءت بهن ظروف الحرب وعوامل أخرى[2].

ومن شعراء هذا الاتجاه الأعمى التطيلي، ابن خفاجة وابن الزقاق، وابن الطفيل...إلخ[3].

يقول ابن خفاجة في هذا اللون وذلك في البيت الآتي:

تندى شقائق وجنتيك   به و تنفح ريح نشرك[4].

حيث جسد ابن خفاجة صورة حسية للمرأة من خلال هذا البيت وذلك بذكر صفات المرأة.

ج) اتجاه الخمرية:

إذا كانت دولة المرابطين ذات مسحة دينية تخلو من اللهو والمجون فما هو الحكم على شعر الخمريات؟

1- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني، دار الكتاب المصرية، ص 375.

2- المرجع نفسه ، ص 166- 167.

3- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص181.

4- ابن خفاجة: الديوان، ص 122.

لقد أصيب تيار المجون بصدمة عنيفة في عهد المرابطين أدت إلى انحساره والحد من تدفقه، وانصراف الشعراء عن معالجته وذلك بتأثير عام لسياسة الدولة التي تركت بصماتها على معالم الحياة الاجتماعية ورسمها بروح دينية، فمن المتوقع أن تكون بعض خمرياتهم أو كلها مصاحبة لشبابهم ووليدة طيشهم، فتكون الخمريات وليدة للعصر السابق لاسيما أولئك الشعراء الذين قضوا ردحا من الزمن في عصر الطوائف كابن خفاجة[1] وفي هذا النوع يقول البطليوسي:

سل الهموم إذا نبا زمن   بمدامة صفراء كالذهب[2].

فخمريات المرابطين تخلو من التفلسف الذي اتصفت به خمريات شعراء الطوائف، الذي يقوم على إحساس الفرد بضياع العمر وزوال الشباب وتفاهة الحياة[3].

إذن خمريات المرابطين لم تكن وليدة عهدهم بل وليدة العصر السابق ومصاحبة لشباب الشاعر لأن المرابطين حياتهم دينية.

فإن وصف الخمر فهم يتذوقونها وهذا راجع إلى معالم الحياة الاجتماعية آنذاك والتي اتصفت بمسحة دينية.

د) غرض الهجاء:

يميل بعض الدارسين في الأدب إلى دراسة فن الهجاء لتميزه واختلافه عن باقي الأغراض الشعرية الأخرى، ونحن نعلم أن للهجاء نوعان: سياسي واجتماعي فكيف كان هذان النوعان أو الفصلان في عهد المرابطين؟

1- الهجاء الاجتماعي: فهذا النوع يأخذ غالبا صفة التشهير بين شاعر وآخر أو بينه وبين أحد خصومه، فتغلب عليه سمة الذاتية فلا يمثل موقفا عاما[4] وشعر الهجاء

---

[1]- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 223-224.

[2]- المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى الساقا وآخرون، القاهرة، 1939م-1942م، ص 109.

[3]- المرجع نفسه، ص 224.

[4]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 61.

الاجتماعي مقطعات في معظمه تنظم بأسلوب بسيط وواضح. وقد اشتهر في عهد المرابطين ثلاثة هجائيين هم: المخزومي، اليكي والأبيض ويمكننا أن نضيف إليهم نزهون القلاعي وابن صارة الشنتريني وابن حزمون ...إلخ. فالمخزومي الأعمى لم يكتف بهجاء الآخرين بل هجى نفسه وابنه أيضا[1]. لقد كان بذيء اللسان مقدع الأهاجي فهو صاعقة من صواعق الهجاء، وتبلغ به النقمة أحيانا فيهجو مدينة بكاملها ويلعن أهلها حيث يقول في أهل مرسية:

على أهل مرسية لعنة ... تعم الديار و أربابـــــــها
فما غلقت قط مذ فتحت ... على فاضل الطبع أبوابها
كلاب تهر إلى شاعــر ... و تكشف للشر أنيابـــها[2]

هذا هو المخزومي المثل الأعلى للهجاء الذي لقب ببشار الأندلس الذي لم يسلم أحد من لسانه السليط.

2- الهجاء السياسي:

أما هذا النوع فشمل هجاء القضاة و الفقهاء باعتبارهم أداة يتكئ عليها الحكام في تسيير دفة الحكم، فهم يمثلون السلطة بشكل أو بآخر[3]، ومن خلال دراستنا تتضح لنا الحالة السياسية في الأندلس وحقيقة الدوافع الكامنة وراء تلك الإرهاصات الثورية، فمن هؤلاء الشعراء الذين كانت لهم صلابة وجرأة في إبداء آرائهم بلا خوف أو خشية أبو بكر أحمد بن محمد الأنصاري المعروف بالأبيض، وأبو بكر يحي بن سهل اليكي ...إلخ[4].

ومن أمثلة ذلك هجاء الأبيض لأمير قرطبة الزبير المرابطي هجاء مقذعا فلما سمعها الزبير قامت قيامته فأمر بقتله فمن قوله:

1- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 275-277.

2- التجيبي، زاد المسافر تح: عبد القادر محدد، بيروت، 1970، ص 118.

3- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني ، ص 61.

4- المرجع نفسه، ص 281-282.

عكف الزبير على الضلالة جاهدا   ووزيره المشهور كلب النار
مازال يأخذ سجده في سجـــــدة   بين الكؤوس و نغمة الأوتار

من خلال هذين البيتين نحكم على الشاعر بصورة هجائية فاحشة اتجاه الملوك والأمراء.

وأشعار أبو بكر يحي بن سهل اليكي في هجاء المرابطين مقطوعات فاحشة قاسية يقول:

في كل من ربط اللثام دنـــــاءة   ولو أنه يعلو على كيـــــــوان
ما الفخر عندهم سوى أن ينقلوا   من بطن زانية لظهر حصـــان
المنتمون لحمير لكنهـــــــــم   وضعوا القرون مواضع التيجان
لا تطلبن مرابطا ذا عفـــــــة   واطلب شعاع النار في الغدران[1]

وهذا الهجاء لأبي بكر يحي اليكي اتجاه المرابطين يدل على شدة كره الأندلسيين لهم و ازدرائهم .

وفي تجنب ذكر الهجاء وإغفاله من طرف النقاد والكتاب عدة أسباب إلا أن أكثرها دينية وهذا راجع إلى الألفاظ الفاحشة التي كان الشعراء يستعملونها لأنها مخلة للحياء وهذا طبعا ما جعل قلة الأشعار في هذا الغرض[2].

5- الاتجاه الديني:

لقد ازدهر الشعر الديني بشتى أصنافه لتوفر عوامل مشجعة وأسباب دافعة يتعلق بعضها بالطابع العام للمرابطين.

كانت قيمة الشعر الديني في مستواه الفني يتفاوت بين النظم الساذج المفتعل وبين الشعر العميق الصادق، و ظاهرة الابتذال و الركاكة و الضعف في هذا اللون

1- التجيبي، زاد المسافر، ص 112.

2- ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959م، ص 267.

واضح لاسيما في القصائد الرمضانية و في الأراجيز و المزدوجات[1]، وقد بلغ التكلف إلى الالتزام بالأحرف الأبجدية (حرف من حروفها) كما فعل أبو الربيع القلاعي حيث التزم حرف الراء في إحدى قصائده التي يقول في مطلع إحداها:

أشكر لربك و انتظر في   أثر عسر الأمر يسر[2]

وحينما تكون الموضوعات المعالجة بعيدة عن العاطفة خالية من كل قيمة فنية كأبيات الفقيه أبي عبد الله البلغي في تعيين أوقات الصلاة يقول:

ومعرفة الأوقات فرض معين   على عقلاء المسلمين مؤكد[3]

ويمكننا أن نقسم الشعر الديني إلى ثلاثة أقسام:

- الزهد.
- النبويات.
- التصوف[4].

وجميع الأقسام تتنفس في جو واحد و تهدف إلى غاية واحدة فهي جميعا تعبر عن الشحنات العاطفية التي تختلج في الوجدان الانساني.

6- غرض الرثاء:

إن غرض الرثاء غرض قديم عالجه الشعر العربي منذ عصوره الأدبية، فهل استطاع المرابطين أن يضيف إلى هذا الفن شيئا جديدا على طابعه وطابع عصره؟ عند النظر في نصوص المراثي عند المرابطين نجد أوضح موضوع تجلّت فيه آثار طريقة العرب[5]، وتلك ظاهرة لمحها ابن بسام حيث يقول: "... ومن ضربهم

1- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 291.

2- المقري، نفح الطيب، ص 293.

3- السلفي، معجم السلفي أخبار و تراجم أندلسية، ط1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963، ص89.

4- المرجع نفسه، ص 293.

5- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 332.

الأمثال في التأبين والرثاء بالملوك الأعزة وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال والأسود الخادرة في الفيافي، وبالنسور والعقبان والحيات في طول الأعمار وغير ذلك مما في أشعارهم موجود[1].

وهذا الفن يأخذ سبلا مختلفة في الوصول إلى غرضه، ويندرج تحت نماذج عديدة للتعبير عن مرادها و ينقسم إلى قسمين هما:

أ- بكاء الأفراد

ب- بكاء المدن

أ- بكاء الأفراد: إن رثاء الأفراد غرض باق مادام الإنسان كائنا اجتماعيا له علاقاته وروابطه مع الآخرين[2].

وغير الأعمى من الشعراء في هذا الغرض نجد العديد ونذكر منهم: عبد الله محمد القرشي في رثاء أبي مروان بن سراج، وأحمد بن عميرة المخزومي في رثاء العلامة أبي الربيع القلاعي، كذلك ابن خفاجة حين بكى رفيق صباه أبا محمد عبد الله بن ربيعة بأربع قصائد حزينة ومؤثرة حيث يقول في إحداها:

في كل ناد منك روض ثنــــاء		و بكل خد فيك جدول ماء

ولكل شخص هزه الغصن الندي		تحت البكاء ورنة المــاء[3]

ومن خلال هذين البيتين أيضا جسد ابن خفاجة صورة لرثاء الأفراد من خلال رثائه لصديقه ورفيق صباه.

ب) **بكاء المدن:** أما بكاء المدن فهو نتاج للظروف السياسية التي ألمت بشبه جزيرة إيبيرية (الأندلس) منذ سقوط الخلافة الأموية وتوزعها على شكل دويلات صغيرة ولهذا اللون اتجاهين.

1- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 315.

2- السلفي، معجم السلفي أخبار و تراجم أندلسية، ص 332.

3- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 333-338.

أ- **الاتجاه الأول:** هو ما قيل قبل السقوط و في أثناء الحصار والحرب ويتسم بالحماسة والشدة وتهويل الأمر، وإثارة عواطف المستغاث بهم مصورا الحالة التي ألمت بالإسلام و المسلمين[1].

فقد سجل هذا النوع صرخات عديدة منها صرخة أبي موسى هارون بن هارون، كذلك ابن سهل عرب المعقل، أيضا ابن الآجار وهزيمته، كذلك سينيته التي فيها:

أدرك بخيلك الله أندلسا   إن السبيل إلى مناجاتها درسا

ب- **الاتجاه الثاني:** ويأخذ هذا الاتجاه طابع الهدوء والاتعاظ والاستسلام والتبسط في عرض الأحداث ونقل الصور بما يقربه من السرد همه أن يصور المأساة ويصور الفجيعة ويجسم المصير لا يخلو من الحكمة و التأمل[2]، ومثال ذلك ما يقوله أبو جعفر الوقشي البلنسي وهو يتمنى أن يمد الله في عمره حتى يرى "شنت ياقب" تعود ثانية إلى دولة المسلمين وينتقم من الإفرنج الذين دمروها وخربوها يقول:

ألا ليت شعري هل يمد لي المدى   فأبصر شمل المشركين طريدا

ويغزو أبو يعقوب في شنت ياقب   فيعيد عميد الكافرين عميدا[3]

ومن خلال هذين البيتين نستشف رثاء الشاعر للمدن وهو رثاء عرف من خلال سقوط المدن الأندلسية مدينة تلو الأخرى.

وهذا بالنسبة لبكاء الأفراد والمدن في فن الرثاء الذي اتسم بنوع من الخصوصية على رثاء المشرقي الذي اقتصر فقط على بكاء الأفراد.

---

[1]- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 348.

[2]- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مصر، ص 482.

[3]- المرجع نفسه، ص 359.

7) فن الموشح:

لقد كانت الغنائية في طليعة العوامل التي ساعدت على ظهور الموشح، لكن من جانب آخر فهو وسيلة للتردد على أبواب الممدوحين في نشأته الأولى، فهو يخدم الغناء أولا ثم التكسب بالدرجة الثانية، وفن الموشح ليس وليد عهد المرابطين كما نعرف إلا أن له رواده.

ففي عصر المرابطين ظهرت مجموعة من أعاظم الوشاحين في مقدمتهم الأعمى التطيلي، ابن بقي، أبو عبد الله بن أبي الفضل بن شرف، الأبيض وعلي بن مهلهل الجياني، وابن باجة وابن حزمون[1]، وعن الوشاحين في هذه الفترة قصتان مفيدتان في دلالتهما:

الأولى: أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة و تأنق فيها فقدموا الأعمى للإنشاد فلما افتتح موشحته المشهورة قال:

ضاحك عن حمان   سافر عن بدري

ضاق عنه الزمان   وحواه صدري[2].

والقصة الثانية: تتصل بابن باجة وخلاصتها أنه نظم موشحة في مدح ابن تيفلويث صاحب سرقسطة ومطلعها:

جرّر الذيل أيما جر   وصل السكر منك بالسكر

وخاتمتها:

عقد الله راية النصر   لأمير العلا أبي بكر

وكان بعض أولئك الوشاحين مكثرا حتى قيل إن لأبي بكر ابن بقي ما يتعدى ثلاثة ألاف موشحة أما عن لغة الموشح فلم يصبها الضعف والهلهلة والعامية، أما

---

[1]– إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 186.

[2]– المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص 87.

طريقة النسج وتكوين العبارات والصور فقد أصابها في عصورها المتأخرة نوع من التعقيد مبعثه حب الصنعة والغموض لدى الوشاحين والاهتمام بالزخرفة[1].

وفن الموشح لا يقتصر على المدح بل نظم الموشح أيضا في غرض الغزل، والوصف والتصوف نظرا لطابعها وخصوصيتها لم يتوسع في الأغراض.

8) فن الزجل :

لقد كانت أسباب نشأة الزجل هي نفسها التي أدت إلى نشأة الموشح.

قد يكون التساؤل عن مخترع الموشح أمرا معقولا، أما التساؤل عن مخترع الزّجل فإنه من قبيل الجهد الضائع لأن الأغنية الشعبية تظل في العادة جهد جنود مجهولين قبل أن ينتقل هذا اللون من الشعبية الخالصة إلى يد الفرد الزّجال الذي يمنحه قوة من شخصيته و تفننه.

ومن أشهر الزجالين ابن قزمان الذي قدم نماذج من التخيلات في هذا اللون حيث يقول:

أنا من أهل البادية
ومعي دارا خالية
ملا بدم الداليـــة

ومن التعبيرات الزجلية للمتقدمين أيضا يخلق ابن راشد الذي عاب ابن قزمان زجله بشدة فقال: زجلك يا ابن راشد قوي متين وإن كان للقوة فالحمالين[2]. وقد أكد الدارسون أن ابن قزمان هو عم الزجالين، وقال ابن سعيد في ترجمة له" إمام الزجالين بالأندلس".

أي أن ابن قزمان اشتهر في هذا الغرض لذلك لقب بألقاب عديدة منها عم الزجالين، وإمام الزجالين، لكن هناك شعراء آخرين رغم أنهم يحملون شهرة ابن قزمان مثل مدغليس، حيث يقول إحسان عباس عن مدغليس أنه عاد بالزجل إلى

---

[1]– إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 187.

[2]– المرجع نفسه، ص 206.

القصيدة الملحونة، وله ديوان في هذا الفن، ومنهم أيضا الدباغ الذي نقل الزجل إلى ميدان الهجاء، أما بقية الزجالين الذين ذكرهم صاحب المغرب فهم: عبد الغافر بن رجلون المرواني، وأبو بكر بن الحصار وغيرهم وقد امتدت موجة الزجل إلى المغرب وظهر زجالون مغاربة منهم عبد الله محمد بن حسون الحلا، فشاع في الزجل عدا الهجاء أغراض أخرى أهمها التصوف في أزجال الششتري حتى أصبح الزجل شعرا ينظم على أبحر الخليل[1].

في مجال النثر:

أما بالنسبة للنثر فنجده غلب عليه الاقتباس من القرآن الكريم والأمثال وغيرهما، ولكن على العموم فهو أقل متانة من النثر المشرقي وأقل ابتكارا[2] إلا أن ازدهار حركة التأليف الأدبي في عصر المرابطين وبلوغ نضجها وتنوعها حتى تناولت مختلف ميادين النثر الفني، فعالجوا النقد الأدبي وفن الترجمة والسير والمقامات والنثر الديواني والرسائل الاخوانية... وبذلك فإن النشاط الأدبي كان متوهجا لم يضعف أو يهزل بخلاف[3]، ومن أسماء بعض الأعلام البارزة في هذا المجال وهم مشاهير لا يزالون يحتلون مراكز مرموقة في تاريخ الأدب العربي عامة مثل: ابن خاقان أو (نصر الله الفتح بن محمد ابن عبيد الله بت خاقان الإشبيلي)، ابن بسام(أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني) ابن أبي الخصال السرقسطي صاحب المقامات اللزومية من عصر المرابطين، وأبو القاسم خلف الله بن عبد الملك بن بشكوال...[4].

فمن هنا يمكن القول أن النثر له مكانته المميزة في عهد المرابطين بحيث برز الكثير من الكتاب فظهرت كتب قيمة دونت أدب الملثمين وتاريخهم الأدبي. رغم آراء الباحثين والدارسين حول أدب المرابطين وحول اهتمامهم به إلا أننا نقول أن الأدب في عهد المرابطين له مميزاته وخصوصياته كذلك له ظروفه التي مر بها.

1- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 213-224.

2- عمر فروخ تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين، ص 62.

3- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 75.

4- ابن خاقان، القلائد، ص 182.

الفصـــــل الثاني

المبحث الأول: مكانة المرأة عند المرابطين

1- المكانة الاجتماعية والسياسية للمرأة عند المرابطين:

يمكن اعتبار المرأة كعنصر إن لم نقل كطبقة مميزة في العهد المرابطين نظراً للمكانة التي احتلتها في هذا المجتمع. إذ صارت لها مشاركة مختلفة في كثير من المجالات علاوة عن وظيفتها كربة بيت حيث حظيت بالكثير من الاحترام والمكانة المرموقة وهذه المكانة لم تحظ بها من قبل، وهذا راجع إلى عادات وتقاليد القبائل الصحراوية والنظم الاجتماعية لشعب الملثمين[1]. كل هذا جعل المرأة تتمتع بالمساواة التامة وتشارك في مجالس القبيلة وتطلب العلم وتكون لها سلطة عظيمة في عشيرتها، حتى أن السلطان "**يوسف بن تاشفين**" سمح لزوجته أن بمشاركتها في تدبير شؤون الدولة، كما اشتهرت بعض الأميرات المرابطات بحسب الأدب والشعر مثل: الأميرة حواء بنت يوسف بن تاشفين، وأم طلحة والتي وصفت بأنها كاملة الحسن راجحة العقل مشهورة في مجال الأدب...الخ.

وفي حكم المرابطين زاد نشاط النساء حين كنَ يشترينا مستلزماتهن من الأسواق مثل سوق "**البزازين**" كالصياغة وغيرها، كما يذهبن إلى الحمامات مثل "**حمام بنت البان**" مخصصا للنساء وبالمقابل هناك نشاطات أخرى مثل رعاية الأسرة، كما كانت بعض النساء يخرجن للصلاة بالمساجد ولذا خصص لهن بمسجد "**القرويين**" بيت النساء الذي يتوضأن فيه[2].

أ-الزواج:

الزواج عند المرابطين له سياسته الخاصة وشروطه فلو نظرنا إلى الزواج بصفة عامة لقلنا أنه شغل الفاتحين المسلمين في البداية بالإسبانيات باعتبار أن بعض العرب دخلوا الأندلس أفرادا مثل طارق بن زياد الذي ترك زوجته في الجزيرة

---

[1]- عصمت عبد الطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 164.

[2]- حسن محمود، الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي، عصر المرابطين والموحدين، ط1، دار الوفاء لطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص362، 169.

الخضراء والتي سميت باسمها فيما بعد[1]. أما بصفة خاصة نجد أمر الزواج لم يكن اختيارا شخصيا ولكن اختيار تشارك فيه القرابة التي كانت تعتمد على الاستشارة الداخلية من طرف الخاطب التي يتم من خلالها تحديد المواصفات المرغوبة في الزوجة، كذلك وفقا للأعراف الجارية في المجتمع المرابطي[2]، فيتم الزواج بعد موافقة الأهل على الخطبة ويكون ذلك عادة في المسجد كما كان يصطحب الخاطب معه كاتب عدل لتسجل العقد وتحديد شرط المهر بحضور الزوج والزوجة، كما كثرت في تلك الفترة عقود الزواج التي كانت تتضمن حق تمتع الزوج بمال زوجته أو بمال أبيها[3].

وقد تنوعت ملابس النساء تنوعا كبيرا وتعددت أسمائها إلى الحد الذي لم نستطيع معه ذكر جميع الأسماء نبدأ بـــ:

1- أغطية الرأس: وأهمها "الطرحة" وهي غطاء يوضع على الرأس وينسدل إلى الخلف و"العصابة" وهي التي تربط على الرأس، أيضا "الملحفة" وهي شيء يشبه الإزار وهو رداء كبير تتغطى به النساء[4]. بالإضافة إلى السراويل، والوشاح.

2-ألبسة القدم: النحال الجلدية والخفاف، فالنعال بدون كعوب[5]. فقد تنوّع اللباس المرابطي حسب طبقات المجتمع، وهو يختلف من النساء إلى الرجال، إلا أنه لباس يعطي صورة المجتمع الإسلامي آنذاك.

2)-المكانة الأدبية للمرأة:

1- راوي عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ط1، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ، ص 84.

2- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين ، ص 203.

3- المرجع نفسه، ص 284.

4- جمال طه، الحياة الإجتماعية للمغرب الأقصى، ص 229.

5- المرجع نفسه، ص82-84.

لو مضينا في تصفح تاريخ الأدب العربي من عصر لعصر لوجدناه يحدثنا عن نساء شاعرات في جميع العصور، وهذا ما يثبت أن المرأة العربية مارست نشاطها الفني منذ أن كان للعرب وجود أدبي.

أ-المكانة الأدبية عند العرب:

فقد قيل "الشعر ديوان العرب" وقال إبن أبي داود : **(**ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر، طبع ركب فيهم، قل قوله أو أكثر، فإن صدق هذا على رجالهم، صدق على نسائهم، إذاً الطبع واحد واللغة واحدة والغريزة لا تختلف...**)**[1] وهذا ما يجعلنا نحكم على أن الشعر لم يكن مقتصراً على الرجال فقط، وإنما شاركت فيه النساء، ففي العصر الجاهلي نجد أسماء للشاعرات كثيرات وإن كان ما وصلنا من شعرهن ليل، وذلك لأن المؤرخين العرب القدمى ألقوا به في منطقة الظل[2]، ولكن في لمح خاطف نذكر بعضا منهن مثل: الخنساء، زرقاء اليمامة، ليلى بنت لكيز، وصفية الباهلية ...الخ [2]، أما في صدر الإسلام العصر الأموي فقد حفظت لنا الكتب أسماء شاعرات من قريش ومن بيت النبوة، ومن هن عائشة بنت أبي بكر وعقيلة بنت عقيل ابن أبي طالب، والرباب زوجة الحسين وعاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ...الخ [3]، أما في العصر الأموي فنجد ميسون بنت بحدل، وفي العصر العباسي نجد أكثر الشعر مما وضعته الجواري للغناء، ولكن يصادفنا الشعر الصوفي، الرابعة العدوية ومن الشاعرات أيضا محبوبة جارية المتوكل، وبنان، وفصلو من أمثلتهن كثيرات[4]. إذن انطلاقا من هذا فإن المرأة لها مكانتها الأدبية عند العرب وعلى مر العصور إلا أن كل عصر له ميزاته،

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394 هـ 1974 م، ص64.

[2]- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 15-16-17.

[3]- عمر رضا كحالة، المرأة في عالمي العرب والإسلام، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (د.ت)، ص264.

[4]- المرجع نفسه، ص 20.

وأن المرأة أثبتت وجودها عبر ذلك بطريقتها الخاصة وطبقا للظروف الاجتماعية والسياسية.

ب)-المكانة الأدبية للمرأة عند المرابطين

مما لا شك فيه أن مبادئ الإسلام لم تدعوا مطلقا إلى سجن المرأة وعزلها عن الحياة، وإنما المحافظة عليها فهو الدين الوحيد على وجه الأرض الذي كرَمها ورفع من شأنها وعوّضها عمل كانت تعاني من ظلم واحتقار في الجاهلية.

وكانت المرأة في عصر المرابطين تتمتع بنصيب وافر من الحرية، بوأها لأن تتدخل في كثير من الشؤون الاجتماعية والسياسية، وأن يكون لها رأيا مسموعا فيها، ونتيجة لذلك ظهرت قصائد مديح النساء ورثائهن وذلك لما يكنه الرجل للمرأة من احترام، وفي المجال الأدبي نلمس ارتفاع صوتها وحريتها في التعبير عن مشاعرها بصراحة، في مجالس تعقدها مع شعراء العصر وتتفوق عليهم في بعض الأحيان، كالمجالس الأدبية التي سجلتها المصادر العربية للشاعرة نزهون بن القلاعي مع الشاعر الأعمى المخزومي وابن قزمان والكتندي، والوزير أبي بكر بن سعيد...الخ[1]، وصفحات الأدب النسائي الأندلسي في عهد المرابطين بما لا يدع مجال للشك أن هذا الأدب الرائع لا يمكن أن يخرج من نساء مضطهدات ومكبوتات بل يخرج من نساء لهن عقول صافية مدركة لكل ما يجري حولها[2].

ومن خلال المكانة الأدبية للمرأة عند المرابطين نستشف عدة نساء أديبات سواء من الأميرات أو من عامة الناس فظهرت نساء في مجال الشعر والأدب بسبب التمتع بنصيب وافر من الحرية.

[1]- سعد بوفلاقة ، الشعر النسوي الأندلسي، ص 152.

[2]- راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص 37.

صورة المرأة في بعض الأغراض الشعرية:

1-صورة المرأة في غرض الغزل:

وشعر الغزل عند المرابطين بنوعيه العفيف والحسي يغلب عليه بشكل عام سمة المقطوعات الصغيرة، ولم ينفرد بهذا النوع من الغزل شاعر واحد ويتفرغ له، وإنما كان الشعراء جميعا يتناولونه منفردا أو مزدوجا.

1-الغزل الحسي:

وفيه يقول الأعمى التطيلي:

أريق ثغرك أم بنت الزراجين وعرف نشرك أم مسك بداريين[1]

هنا يكون الأعمى قد رسم صورة حسية لحبيبته بثغرها وعطرها.

2-الغزل العفيف:

وفي هذا النوع يقول ابن بقي:

عاطيته والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الفتين لناسق[2]

وهذا البيت مثال شعراء ابن بقي الذي يتصف بالرقة والشاعرية الصافية اتجاه الحبيب.

فنقول أن الغزل هو أكثر الألوان الشائعة نظراً لبيئة المرابطين المحافظة، أما الغزل الحسي فهو نتاج لما عاشه الشاعر في عصر غابر كابن خفاجة مثلا الذي عاصر دولة ملوك الطوائف والمرابطين، فرغم ما كان للمرأة من حرية في هذا العهد إلا أن الغزل قلّ وتراجع.

1- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 172.

2- المرجع نفسه، ص 169.

2-صورة المرأة في غرض الهجاء:

لقد شمل الهجاء الأندلسي عدة اتجاهات: منها هجاء القضاة والفقهاء، هجاء المرابطين ،... وهناك اتجاه آخر يتصف بالفحش ويأخذ في الغالب صفة التشهير بين شاعر وآخر أو أحد أعدائه وهو يتسم بالبذاءة والفحش والإقذاع.

ومن أمثلة الهجاء تجاه المرأة قول الغزّال يهجو امرأة فيشبه صلعتها ببيضة المحارب التي تلمع بين ظلال السيوف يقول:

كأنها بيضة الشاري إذا برقت　　　بالمأزق الضنك بين المشرقيات[1]

ويكون الغزل هنا ساخراً من خلق الله بهذا الهجاء

كذلك قول المخزومي في هجاء لنزهون بنت القلاعي لما أهانته وسخرت منه يقول:

على وجه نزهون من الحسن مسحة　　　وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا

قواصد نزهون توارك غيرها　　　ومن قصد البحر استقل السواقيا[2]

وفي هذه الأمثلة للهجاء نقول أن هذا ليس من صورة حياة التحرر الفاحشة حيث تساوت النساء والرجال.

3-صورة المرأة في غرض المدح:

لقد حظيت المرأة اللمتونية بالمدائح أكثر شاعرين عرفهما المرابطون هما: ابن خفاجة والأعمى التطيلي، والأميرة حواء بنت يوسف على رأس النساء اللائي مجتدهّن قصائد الشعراء حيث قال الأعمى التطيلي:

1- عيسى فوزي، الهجاء الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2008، ص205.

2- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي، أغراضه وخصائصه، ص118.

دنيا لا طرف، دين ولا قشف	ملك ولا صرف، درك ولا طلب
مليكة لا يوازي قدرها ملك	كالشمس تصفر عن مقدارها الشهب[1]

وهذا المدح في شأن المرأة نظراً لمكانتها في عهد المرابطين وهي مكانة بارزة أعطت لها قيمتها وحريتها ومركزها، وهذا المدح لا يقتصر فقط على الأميرات وإنما على المرأة ككل.

4-صورة المرأة في غرض الرثاء :

إذا قدرنا السبب الذاتي في صميم التركيب النفسي لصاحبه لن نجد لمواقف الشاعر تفسيرات اجتماعية أثارت هذا اللون من الرثاء غير قليل منها كشعور المرابطي بقيمة المرأة وتقديرها لدورها وهذا الشعور الذي قوي في أيام المرابطين بسبب نظامهم الاجتماعي، وغالبا ما يتصل هذا اللون ببكاء الزوجة وهو بكاء يمتد من فقدها بالطلاق إلى فقدها بالموت.

1-الفراق بالطلاق:

ومن نماذج هذا الشعر في حال الفراق بالطلاق مقتطفا من قصيدة ابن هند الداني يقول فيه:

أبديت سري مذ كتمت ســـراك	وعصيت صبري مذ أطعت هواك
ونشرت أسلاك الدموع معرضاً	أني بحيث سلكت أســـــــــــلاك
أرى خيمة الألفاظ غير رحيمة	الذل ذلك أم نهاك نهـــــــــــاك[2]

هنا يصف الشاعر ابن هند الداني علمه و دموعه بكاءاً على زوجته المطلقة

2-الفراق بالموت: ونموذج الرثاء الذي يكون فيه صورة المرأة التي سلبها الموت، ولعلّ الصورة الكبرى تتجلى في ديوان كامل لإبن جبير في رثاء زوجته أم المجد،

---

[1]- ابن عذاري المراكشي، البيان المعرب، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، تح محمد إبراهيم الكتاني، 1406هـ /1985 م، ص 20.

[2]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 97.

ومن الشعراء في هذا المجال، ابن حمديس، الأعمى التطيلي، ولأبي إسحاق الإلبيري ...الخ.

كذلك هناك نموذج آخر لرثاء الزوجة وهو لإسحاق الإلبيري في بعض المقتطفات من قصيدته الرائية في رثاء الزوجة يقول:

أرعى أذمته و أحفظ عهــده عندي كما يجري سواه بخاطري
إن كان يدثر جسمه في رمسه فهواي ليس فيه الدهر بداثــــر[1].

أما إسحاق الإلبيري يقول في هذه الأبيات رغم وفاة زوجته إلا أن هواه لها لا يزول ولا ينتهي.

ومن خلال هذه النماذج في شعر الرثاء نقول أن المرأة لها مكانتها لدى الشاعر حتى وصل ليرثيها، وهذا يجعلنا نقول أن المرأة في عهد المرابطين ليست الزوجة أو الابنة أو الأخت بل أثمن من ذلك وأغلى بكثير.

[1]– إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص99.

المبحث الثاني: بعض النساء الشاعرات في عهد المرابطين

2-النساء الشاعرات في عهد المرابطين:

وقد برزت في فترتنا عدة أسماء لنساء عرفت بالشعر والأدب لكن أخبارهن ظلت نزرة قليلة لا توضح شخصيتهن أو تبين منزلتهن منهن: نزهون القلاعي، وحفصة الركونية، وأم الهناء، وأسماء العامرية، والشاعرة الشلبية...وغيرهن ومن هذه الشاعرات نذكر:

أ-أم الهناء بنت عبد الحق:

شاعرة من شواعر الأندلس في القرن السادس من أهل قرطبة[1]، هي أم الهناء بنت القاضي محمد عبد الحق بن عطية ذات شأن في حلقات العلم، فقد كانت من أهل الفهم والعقل حاضرة النادرة سريعة التمثيل، لها تأليف في القبور وآخر في الأدعية[2] ، ففي حين أكد ابن عذاري المراكشي بأن اسمها هو أمة الرحمان وكنيتها أم الهناء معتمدا في ذلك على ما وجد في تأليف القبور والأدعية لها وقف عليها بنفسه، ولقد كانت أمة الرحمان أو أم الهناء مثال المرأة الأندلسية المثقفة، حيث تميزت بالصلاح والعفة، فهي من بيت دين وعلم كما كانت صاحبة عقل راجح[3]، وذكر أنه لما ولي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة لوطنه فأنشدته متمثلة قالت:

يا عين صار الدمع عادة   تبكين في فرح وفي أحزان

إذن هذه هي الشاعرة أم الهناء التي عرفت بعقلها الراجح وصفتها المتميزة بالصلاح والعفة.

1- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 181.

2- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص 292-294.

3- المرجع نفسه، ص 181.

ب-حفصة بنت الحاج الركونية:

شاعرة أدبية من شواعر وأدبيات غرناطة [1]، تنتسب إلى ركانة ويبدو لنا من هذه التسمية أنها ليست من غرناطة أصلا، وإنما جاءتها صغيرة، كانت ولادتها في حدود530 هـ-1135 م، عاشت في القرن السادس الهجري في غرناطة وعاصرت دولة المرابطين والموحدين، وكانت ذات جمال وحسب وثراء يقول عنها لسان الدين بن الخطيب: "فريدة الزمان في الحسن والطرف، والأدب واللوذعية" ويقول عنها أبو القاسم الملاحي: "كانت أديبة نبيلة جيدة البديهة، سريعة الشعر"[2]، اشتهرت حفصة بعلاقتها الغرامية مع الشاعر الوزير جعفر بن سعيد الذي أحبها والتي بادلته نفس الشعور[3]، ومن خلال أخبارها نعلم أنه قد نما بينهما عشق شديد وله عنيف ولجت بهما صبابة محرقة تجاوزت عرف العصر وتقاليده وتمردت على مقاييسه ومعاييره[4]، وهي من الشاعرات اللواتي أكثرن من الغزل لأحبائهن، كما روت المصادر الأدبية كثيراً من شعرها الغزلي في معشوقها أبي جعفر بن سعيد وذلك كقولها:

أغاروا عليك من عيني رقيبي ... ومنك و من زمانك والمكان

و لو أني خبأتك في عيوني ... إلى ما يوم القيامة ما كفاني[5]

وهذه هي حفصة الشاعرة العاشقة التي وصفها إبن بشكوال بأستاذة عصرها، وذلك بما امتازت في شعرها من جودة وشجاعة في التعبير.

1- محمد مصطفى أبو شوارب، أبحاث مؤتمر التراث الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص51.

2- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 155.

3- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 178.

4- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 198.

5- جرار صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص 178.

ج-أسماء العامرية:

شاعرة من شاعرات اشبيلية[1] من أدبيات الأندلس، كانت فصيحة ظريفة أدبية لها أشعار رائعة ومعانيها شائعة[2]، اشتهرت في أوائل القرن السادس كتبت إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالة تذكره فيها بنسبها العامري، سائلة إياه رفع الإنزال عن دارها والاعتقال عن مالها، خاتمة رسالتها تضمنت في مطلعها مدحا للخليفة، وما ذكرناه ما هو إلا دليلا قاطعا على مدى جرأة هذه الشاعرة، تلك الجرأة مكنتها من مخاطبة الخليفة مطالبة إياه دفع الظلم عنها وعن مالها حيث تقول:

عرفنا النصر والفتح المبينا   لسيدنا أمير المؤمنينــــــا

إذا كان الحديث عن المعالي   رأيت حديثكم فينا شجونا[3]

ومهما يكن فإن هذه الشاعرة لم يصلنا من أخبارها الكثير، حتى أنه لم تذكر المصادر لا تاريخ ميلادها ولا تاريخ وفاتها واكتفت بالقرن الذي عاشت فيه.

د-الشلبية:

هي الحاجة مريم بنت أبي يعقوب الفصولي[4]، كانت شاعرة أدبية تعلم النساء الأدب على طريقة أهل الأندلس، كانت متدينة محتشمة، عاشت في مدينة الخلاعة لكن أصلها من مدينة شلب في عزب الأندلس، ماتت بعد سنة أربع مائة هجري بأمد[5]، وكانت تجالس الملوك وتناظر الشعراء ومن شعرها كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجة تقول:

قد آن أن تبكي العيون الأبية   ولقد أرى أن الحجارة باكية

1- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين والموحدين، ج4، ص 350.

2- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، ط1، أخرجه محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، 1944، ص 318.

3- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، ص 294.

4- المرجع السابق، ج4، ص350.

5- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص179.

ناد الأمير إذا وقفت ببابـــــه يراعيا إن الرعية فانيــــة

إلى آخر القصيدة فيقال أنها ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور، فلما قضى الصلاة، بحث عن القصة، فوقف على حقيقتها و أمر للمرأة بصلة [1].

وهذه مريم الشلبية رغم قلة شعرها الذي وصلنا إلا أننا نلمس في تعبيرها جرأة وشجاعة على مهاجمتها الولاة.

[1]– المقري، نفح الطيب، ج4، ص294.

المبحث الثالث: أغراض الشعر النسوي

أغراض الــشعر النسوي

لقد كتب شعراء المرابطين في كل الأغراض الشعرية التي كانت متداولة عند المشارقة، لكن رغم ذلك التقليد، فإن المرابطين استحدثوا بعض الأغراض المعروفة لدى الأندلسيين مثل الموشح و الأزجال بالإضافة إلى رثاء المدن، ووصف الطبيعة، أما مكانة المرأة في هذا كله فلم يتناول كل الأغراض التي قال فيها الشعراء، فالنساء الشاعرات تناولن أغراض محددة وأهمها:

1-الغزل:

والذي يعتبر أهم أغراض الشعر النسوي، وأحد اتجاهين، اتجاه العفاف والو الترفع بالأخلاق الحميدة ، واتجاه يتمثل في المجون واللهو.

وخير من يمثل الاتجاه الأول نجد أم الهناء حيث أو رد لها المقري في نفح الطيب قطعة غزلية رقيقة من أربع أبيات تعبر عن مدى غبطها عندما استلمت كتابا من الحبيب يمنيها فيه بزيارة تقول:

جاء الكتاب من الحبيب بأنه — سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور عليَ حتى أنه — من عظم فرط مسرتي أبكاني[1]

وهنا أظهرت أم الهناء لشدة فرحها عند استلامها كتاب الحبيب بطريقة دقيقة.

أما خير من تمثل الاتجاه الثاني: وهو منحى المجون واللهو نجد حفصة الركونية، ونزهون بنت القلاعي.

حيث تقول حفصة :

أزور أم تزور فإن قلبـــــي — إلى ما تشتهي أبدا يميل
وقد آمنت أن تظمى وتضحى — إذا وفي إليَ بك القبول

[1]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 293.

فثغري مورد عذب زلال وفرع ذؤابتي ظل ظليل[1]

وهذه الأبيات قالتها حفصة لجعفر بن سعيد الذي أحبها، ونحن نعلم أنها اشتهرت بعلاقتها الغرامية معه وطبعا بادلته نفس الشعور وهذه الأبيات خير دليل على ذلك، حيث طلبت منه أن يزورها.

وهنا حفصة في هذا الاتجاه الماجن بادرت الرجل في حبها فبدلا من أن تكون معشوقة أصبحت عاشقة والرجل معشوق، وهذا ما لم نجده عند الشاعرات العربيات[2].

غرض الهجاء:

كذلك كان الهجاء في عهد المرابطين من طرف النساء وموجه إلى شخص معين، كهجاء الشعراء أو هجاء حبيب أو عدو إلى غير ذلك فهجائهن اتسم بالفحش والبذاءة واستعمال الألفاظ السوقية ومن الشاعرات اللواتي برزن في هذا الغرض نجد نزهون بنت القلاعي، وحفصة بنت الحاج الركونية[3].

ومثال ذلك تقول نزهون القلاعية في هجاء المخزومي:

إن كنت ما قلت حقا من نقص عهد كريم

فصار ذكري ذميما يعزى إلى كل يـــوم

وصرت أقبح شيء في صورة المخزومي[4]

وهو هجاء فاحش حيث صورت نزهون هنا المخزومي الأعمى في أقبح صورة، وهذا ناتج وصادر عن امرأة تتمتع بالحرية الكاملة.

1- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 178.

2- جرار صالح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص 179.

3- المرجع نفسه، ص 177.

4- المرجع السابق، ج4، ص 296.

غرض الرثاء:

أما غرض الرثاء فهو قليل نجد بعض المقطوعات فقط لحفصة بنت الحاج الكونية ترثي فيها حبيبها جعفر بن سعيد بعدما قتله أمير غرناطة، فحزنت عليه حزنا شديداً وجاهت برثائه والبكاء عليه ولبست الحداد عليه فهددها الأمير فكتبت تقول:

هددوني من أجل لبس الحداد — لحبيب أرادوه لي بالحـــداد
رحم الله من يجود بدمــــــع — أو ينوح على قتيل الأعــادي
وسقته بمثــــــل جود يديــه — حيث أضحى من البلاد، الغواني[1]

كتبت حفصة هذه الأبيات ترثي فيها جعفر بن سعيد الذي قتله أمير غرناطة طمعا ليتزوجهما.

فالرثاء إذن في عهد المرابطين بالخصوص رثاء المرأة قل على عكس المرأة المشرقية التي رفعت هذا اللون

الأغراض المختلفة:

بالإضافة إلى الأغراض التي نظمت فيها الشاعرة المرابطية نجدها أيضا قالت في أغراض أخرى ولها مقتطعات في وصف الطبيعة والفخر والحنين إلى الوطن وغيرها من الأغراض، فالشاعرة حمدونة بنت زياد المؤدب لها متطوعة في وصف وادي أعجبت به فقالت:

وقنا لفحة الرمضـــاء — سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحة فحنا علينا — حنو المرضعات على الفطيم[2]

أما الفخر فلم يكثر مقارنة بالأغراض الأخرى، فلم نعثر سوى على قطعة لنزهون القلاعية تفخر فيها على رجل ثقيل تقول:

---

[1]- جرار صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص 179.

[2]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 205.

وذي شقوة لما رآني رأى له تمنية أن يصلي معي حاجم الضرب
فقلت له: كلها هنيئا فإنهـــــا خلقت إلى لبس المطارف والشرب[1]

وإلى هنا نقول أن النساء المرابطات برزن في هذه الأغراض المختلفة الذكر بقديمها وجد يدها، وغياب بعض الأغراض يعود إلى طبيعة المجتمع المرابطي.

وفي الأخير يمكن القول أن المرأة في عهد المرابطين لها مكانتها الأدبية أيضا من خلال صوتها في الأغراض الشعرية لدى الشعراء، كما احتلت هي أيضا المكانة الأدبية بإثبات نفسها في بعض الأغراض الشعرية رغم اتصاف شعرها بسمة المقتطعات الشعرية.

[1]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 296.

الفصـــل الثالث

المبحث الأول: التعريف بالشاعرة ومميزات شعرها

1- التعريف بالشاعرة:

هي نزهون بنت القلاعي الغرناطية[1]، شاعرة أديبة خفيفة الروح[2]، اتفق المؤرخون على شاعريتها، فقد ذكر ابن سعيد في "المغرب":« أنها شاعرة ماجنة كثيرة النوادر »[3]، كما وصفها الحجازي في "المسهب": بخفة الروح والانطباع الزائد، والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائق"[4]، واسم نزهون كاملا هو نزهون القلاعي، ويكتب اسم أبيها بالياء أحيانا فيقال القليعي، وتعليل ذلك أن الأندلسيين كانوا ينطقون الألف اللينة بالإمالة فتكتب ياء طبقا لسماعها، وهناك من يسميها نزهون القليعية نسبة إلى القلعة وهي البلدة التي وفد منها أهلها، ولفظ نزهون لفظ أندلسي خالص، فقد عمد الأندلسيون إلى التسمية على هذا الوزن لأبنائهم من ذكور وإناث فسموا "نزهون" بين النساء وسموا "زيدون" و"عبدون" و"هبون" و"حمدون" بين الرجال، كانت نزهون تجالس الوزراء وتساجل الشعراء وتهاجيهم ولها مهاجاة ومشاغبات ومساجلات مع مشاهير شعراء ووزراء عصرها، كالأعمى المخزومي[5] وابن قزمان الزجال والوزير أبي بكر بن سعيد، كما كان بينها وبينه محاضرة ومذاكرة ومراسلة بالإضافة إلى ما كان بينهما من الحب واللقاء[6].

ومهما كان الأمر فإن نزهون شاعرة المدينة في القرن الخامس الهجري، والحق أنها غمست نفسها في الحياة الأدبية في غرناطة غمسا كاملا حتى لقبت بشاعرة غرناطة.

---

[1]- إميل ناصيف، أروع ما قيل في الموشحات، دار الجيل، بيروت، ص 132.

[2]- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 116.

[3]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ، ص 295.

[4]- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، الإسكندرية، دار العلم للملايين ، 1975، ص156.

[5]- المرجع نفسه، ص 116.

[6]- نزار عابدين، الشعر العربي ملامح و شعراء، بيروت، لبنان، ص 321.

2- مميزات شعر نزهون :

لقد تميز شعر نزهون بنوع من الخصوصية عن باقي الشاعرات سواء في عصرها أم في العصور الأخرى، كما امتاز أكثر عن شعر المرأة العربية والمشرقية بوجه الخصوص فمن جملة مميزات شعرها نذكر:

- كان معظم شعرها وجداني أكثره في الغزل والهجاء[1].
- كانت تراسل الرجال شعرا وتساجلهم نظما وتهاجيهم قولا فاحشا في نطاق ما يسمى بالأدب المكشوف.
- كانت تسمع شعرا يقال فيها يخدش حياء الحرائر، وينال من مشاعر العفة عندهن وترد بشعر أكثر جرأة وأفحش معنى غير مبالية أو متحرجة من استعمال ألفاظ العورات استعمالا ساقطا[2].
- ولشعر نزهون جانبان جانب مشرق نظيف، وجانب جريء عنيف غير عفيف.

أ- الجانب المشرق النظيف:

وتمثل جانب الإشراق واللين في حياة نزهون الشعرية ما جرى من مساجلات بينها وبين الوزير أبي بكر بن سعيد الذي أولع بأدبها ومحاضراتها ومذاكرتها[3].

ب- الجانب الجريء والعنيف:

ويتمثل في المطارحات والمشاغبات مع أعيان غرناطة وشعراء الأندلس والمشاهير مثل: الأعمى المخزومي الهجاء الذي يلقب ببشار الأندلس، وابن قزمان الزجال المشهور، لقد التحمت معهم جميعا لحمة المودة حينا والتحام التهاجي حينا آخر، ورجحت كفتها عليهم ولولا أنها امرأة لصرعتهم كلا في ميدانه، ولكن المفحشين كانوا يضايقونها بما يذكرون من كلمات الساقطين والألفاظ السوقية في

---

[1]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4، ص 351.

[2]- مصطفي الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه، ص 158.

[3]- المرجع نفسه ، ص 157.

أشعارهم. الأمر الذي دفع بها اختيارا واضطرارا إلى مواجهتهم حينا شعر بشعر، ومناقضتهم حينا آخر عهرا بعهر[1].

[1]– نزار عابدين، الغزل في الشعر العربي ملامح و شعراء، ص 321.

المبحث الثاني: بين نزهون والمخزومي

بين نزهون المخزومي الأعمى:

لقد شاءت الأقدار أن تصطدم نزهون بالعتاه الكبار من شعراء زمانها منهم المخزومي الأعمى فكيف كانت الطريقة التي قابلت نزهون المخزومي؟

أولا قبل أن ندخل في تفاصيل ما حصل لهذين الشاعرين نعطي تعريفا مختصرا للمخزومي:" إذن هو أبو بكر المخزومي المدوري نسبة إلى حصن المدور بقرب قرطبة كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء، مسلطا على الأعراض، سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعاريض، سابقا في ميدان الهجاء فإذا مدح ضعف شعره،كان يلقب ببشار الأندلس[1].

... ففي إحدى مجالس الوزير أبي بكر بن سعيد في غرناطة دخل الشاعر أبو بكر المخزومي الأعمى يقوده غلام صغير، وحين استقر به المجلس في ندوة الوزير، أفعمته روائح الند والعود والأزهار، وهزت عطفه الأوتار قال:

دار السعيدي ذي أم رضـــوان ما تشتهي النفس فيها حاضر داني

سقت أباريقها للند سحب نـــدى تحدى برعد لأوتار وعيـــــــدان

والبرق من كل دن ساكب مطرا يحيا به ميته أفكار وأشجـــــــان

هذا النعيم الذي كنا نحدثــــه و لا سبيـــــل إلا بـــــــــآذان[2]

وإلى هنا والأبيات تشمل على تحية رقيقة للمجلس وصاحبه، فعلق الوزير أبو بكر على الشطر الثاني من البيت الأخير قائلا: وإلى الآن لا سبيل له إلا بالآذان، فأحس الشاعر بأنه يعرض به لكونه أعمى فقال: حتى يبعث الله ولد زنى كلما أنشدت هذه الأبيات قال إنها لأعمى، ويتدارك الوزير الموفق فيتراجع في أقواله خوفا من بذاءات هجائه فيقول: أما أنا فلا أنطق بحرف، فيعلق عن كلامه الشاعر

[1]– لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، بيروت لبنان، ص 432–435.

[2]– سعد بوفلاقة، الشعري النسوي الأندلسي، ص 116.

الأعمى قائلا: من صمت نجا[1] جرى ذلك على مسمع ومرأى الشاعرة نزهون الغرناطية، صاحبة الروح العدوانية، ولم تعر اهتماما لتحذيره السالف الذكر، وأقحمت نفسها في الحوار فقالت للشاعر الأعمى: وتراك يا أستاذ قديم النعمة، بند ونعيم وطيب وشراب، فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم إلا بالسماع ولا يبلغ إليه بالعيان، ولكن من يجيء من حصن المدور – بلد المخزومي– وينشأ بين تيوس وبقر، ومن أين له معرفة بمجالس النعيم؟ فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى، لكن نزهون تواصل سخريتها منه فتقول له: ذبحة فيتساءل الشاعر فيقول من هذه الفاضلة ؟ فتجيبه بسخرية: عجوز في مقام أمك، وهنا يشعر الشاعر بإهانة كبيرة ويرد عليها ببذاءة قائلا: كذبت ما هذا صوت عجوز إنما نغمة... محترفة تشم روائحها هنا على فراسخ، وهنا يتدخل الوزير أبو بكر لينقذ الموقف قائلا: هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأديبة، فيرد في غضب: سمعت بها لا أسمعها الله خيرا، ولا أراها إلا...، فقالت: يا شيخ و أي خير للمرأة مثل ما ذكرت، ففكر الشاعر المخزومي برهة ثم قال بيتين في هجائها:[2]

على وجه نزهون من الحسن مسحة وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا [3]
قواصد نزهون توارك غيرهـــــا ومن قصد البحر استقل السواقيـــا.

ولكن نزهون لم تقف مكتوفة الأيدي أمام هجاء هذا الأعمى، وردت على الفور بشعر أكثر بذاءة فقالت:

قل للوضيع مقـــالا يتلى إلى حين يحشر
من المدور أنشـــئـــ ت و...منه أعطـــر
حيث البداوة أمست في مشيها تتبختـــــر
لذاك أمسيت صبـــا بكل شيء مـــــــدور

[1]– عبد الحميد ديوان، موسوعة أشهر النساء في التاريخ العربي، ط3، دار المنصورية للنشر، لبنان، 2011، ص 256.

[2]– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ، ص 191.

[3]– المرجع نفسه، ص192.

خلقت أعمى و لكـــن	تهيم في كل أعـــــور
جازيت شعرا بشعـــر	فقل لعمري من أشعر
إن كنت في الخلق أنثى	فإن شعري مذكـــر[1].

و لكن المخزومي ليس ذلك الشاعر الذي يقبل الهزيمة و هو الهجّاء السليط اللسان فيقول لنزهون اسمعي:

ألا قل لنزهونة مالهـــــــا	تجر من التيه أذيالها
و لو أبصرت فيشة شمرت	كما عودتني سربالها[2].

وهنا يتدخل الوزير أبو بكر فيحلف ألا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة، ولكن الأعمى يرد قائلا:

أكون هجاء الأندلس وأكف عنها دون شيء، فقال له الوزير: أنا أشتري منك عرضها فطلب المخزومي العبد الذي كان قد قاده إلى منزل الوزير[3].

ويذكر المقري في مكان آخر من نفح الطيب نقلا عن المغرب لابن سعيد أبياتا رواها عن الحجازي في "المسهب" لنزهون ترد فيها على هجاء المخزومي لها تقول فيها:

إن كان ما قلت حقـــا	من بعض عهد كريم
فصار ذكر ذميمـــــــا	يعزي إلى كل لـــوم
وصرت أقبح شـــيء	في صورة المخزومي[4].

وبالرغم من هذه المهاجاة بين الشاعرين فإنه يبدو أن الجو قد صفا بينهما، وأصبحا صديقين، فقد روي أن الكتندي دخل مرة على المخزومي بينما نزهون تقرأ

1- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ،ج4، ص 351.

2- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 108.

3- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص 163.

4- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص296.

عليه شيئا، وأراد أن يداعب المخزومي بالشعر ويقول له: "إن تلمذته فتنة للناظرين، وإن نغمة للأبصار فونت عليه تلك المتعة" فقال الكتندي للمخزومي أجر:

فأفحم وأطال فكره ولكنه لم يستطع أن يحرر جوابا، فقالت نزهون:[1]

لو كنت تبصر من تكلمه لغدوت أخرس من خلاخله

البدر يطلع من أزرتـــــه والغصن يمرح في غلائله[2].

وهذا ما كان بين الشاعرة نزهون والمخزومي الأعمى التي جلبت لنفسها قبيح القول والكلام الفاحش، فرغم ذلك لم تكن مبالية لما يخدش شرفها وعرضها.

[1]– المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 163.

[2]– المرجع نفسه، ص 298.

المبحث الثالث: بين نزهون وابن قزمان

وأما قصتها مع ابن قزمان فقد كادت تنتهي بضربها تأديبا لها، فمن نوادرها التي رواها لنا ابن سعيد في طالعه أن ابن قزمان الشاعر جاء إلى غرناطة و اجتمع بجماعة من الأدباء من بينهم نزهون وأبو بكر الوزير، ثم أنشد لهم بعض شعره، وكان حينذاك يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء وإذا بنزهون بدلا من أن تلقي إليه بكلمة إعجاب ومجاملة، تقول له ساخرة: أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسر الناظرين، فضحك الحاضرون وأثارت بذلك غضب ابن قزمان الزجال ذي المكانة المرموقة فقال لها: إن لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة...[1]، وتمكن من ابن قزمان فأراد أن يؤدبها بالضرب، ولكن الجماعة تدافعوا عليه حتى رموه في البركة فلم يخرج منها إلا وهو قد شرب منها كثيرا من الماء وثيابه تهطل من البلل فلم يجد مخرجا من هذا الموقف المحرج، إلا قوله: اسمع يا وزير وأنشد ثلاثة أبيات وصف بها نزهون وصفا تستحي الآذن سماعه[2]:

إيه أبا بكر و لا حول لي	بدفع أعيان و أنذال
....	....
....	....
غرقتني في الماء يا سيدي	كفره التغريق في المال[3].

وحذفنا البيت الثاني والثالث لبذاءته.

وقد استجاب الوزير أبو بكر لطلبه فأمر بتجريد ثيابه المبللة وخلع عليه ما لا يليق به، ثم أجزل عليه العطاء والإحسان، كما حمى أبو بكر عرض نزهون في

1– مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي ، ص 163.

2– سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 122.

3– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 297.

المرة الأولى من المخزومي في الحادثة السابقة بالمال فقد فعل نفس الشيء هذه المرة مع ابن قزمان و دفع ضره بالعطاء والإحسان[1].

ومجمل القول هو أن نزهون شاعرة بارعة إلى الحد الذي تواجه فيه الكبار من الشعراء تهاجيهم، إلا أن ما قيل فيها من وصف فاحش يضع لمسلكها حدا، وهذا ما يجعلنا نقول أنها من ناحية الشعر شاعرة ولكنها من ناحية الحياة ماجنة بلا احتشام.

[1]– مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص 160.

المبحث الرابع: بين الشاعرة نزهون والوزير أب يبكر بن سعيد

كان لنزهون مذاكرة ومراسلة بين أبي بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في أيام المرابطين بالإضافة إلى ما كان بينهما من الحب واللقاء[1]، ولخفة روح الشاعرة وجمالها الفائق، وحسنها الرائق أعجب بها الوزير أبو بكر بن سعيد، وتعبيرا عن شعبيتها بين جمهور المتأدبين وغيرة منه من كثرة المعجبين بها كتب إليها هذين البيتين الطريفين[2]:

يا من له ألف خل　　　من عاشق و صديـــق
أراك خليت للنـــا　　　س منزلا في الطريق[3].

ولكنها تطمئنه على مكانته في قلبها وتؤكد أنه الحبيب المقدم الذي يحتل مكان الصدارة وتجيبه:

حللت أبا بكر محلا منعتــــــه　　　سواك وهل غير الحبيب له صدري
وإن كان لي كم من حبيب فإنما　　　يقدم أهل الحق حب أبي بكــر[4].

وفي الشعر الأخير من البيت الثاني تورية ومعنوية طريفة، ولفظ "أبي بكر" ينصرف إلى صديق الرسول (ص) كما ينصرف إلى أبي بكر بن سعيد، لقد صدق من وصفها بالظرف و البراعة[5].

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات أن شعر نزهون يمثل الجانب النظيف في الغزل.

1– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين والموحدين، ج4، ص 350.

2– سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 120.

3– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص 295.

4– المرجع نفسه، ص 120.

5– مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص 158.

المبحث الخامس: الصور الشعرية لنزهون

المرأة والحشمة:

تعتبر الحشمة من سمات المرأة الأولى، فهل للشاعرة نزهون القلاعية قليل من الحشمة؟

لنا مثال لنزهون تحدثنا فيه عن ليلة قضتها بين أحضان حبيبها، و قد غفلت عن أعين الرقباء حيث تقول:

لله در الليالـــــي مـــــا أحيسنهـــــا ... وما أحيسن منها ليلة الأحـــــد

لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلـــــت ... عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد

أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر ... بل ريم حازمة في ساعدي أسد[1].

ومن خلال هذه الأبيات نقول أن نزهون قد أعطت الحرية الكاملة لنفسها لتتغزل بالرجل دون حشمة أو حياء، فهي على عكس المرأة المشرقية التي لم تعط أهمية لهذا الغرض من الغزل ولا التغزل بالرجل فالمرأة المشرقية كانت شيء آخر من الحياء، ولهذه الأسباب تصف لنا نزهون ليلة قضتها مع الحبيب، مع وصف مفاتنها وصفات حبيبها ونحن ندرك أن المجتمع الإسلامي لا يشجع للمرأة مثل هذا التصرف، كما لا يقر رجلا يزور امرأة لم يرتبط بها ارتباطا شرعيا.

2- المرأة و الدين :

تقول نزهون وهي تدعو أن يحفظ الله حبيبها في هذه الأبيات:

حفظ الله حبيبا نزحـــــا ... خشية الهجـــر

جاء البشرى به فانشرحا ... عندها صدري[2]

فهنا تدعو الشاعرة أن يحفظ الله الحبيب وهي تدرك أن الله هو الحافظ لكن لا تذكر ذلك في الأشياء الأخرى خاصة عندما تسخر من العميان والذين لا حول ولا

[1]- عبد الحميد ديون، موسوعة أشهر النساء، ص 256.

[2]- نزار عابدين، الغزل في الشعر العربي، ص 362.

قوة لهم فانطلاقا من هذا نقول أن نزهون مثقفة ثقافة دينية إلا أنها لم تستغلها في أخلاقها وحياتها الاجتماعية.

3- المرأة و السخرية:

لما خطب نزهون رجل ذميم الصورة، لم ترضه زوجا لها، فقالت تهجوه:

عذيري من عاشق أنوك   سفيه الإشارة و المنزع

يروم الوصال بما لو أتى   يروم به الصفع لم يصفع

برأس فقير إلى كيّـــــة   ووجه فقير إلى برقـــع[1]

وهذا النوع من الهجاء ممزوج بالسخرية، حيث هجت نزهون هذا الرجل القبيح الوجه مصورة فيه ذلك المهجو بما هو من انحلال في الشخصية والجبن، وعدم الحياء والفقر كذلك و ما يحمله من قبح المنظر إلى حد دفع بنزهون إلى أن تطلب منه أن يضع البرقع كي لا يؤذي الناس بقبحه، فتكون الشاعرة هنا جريئة إلى حد أنها لا تكترث إلى وقع ألفاظها على الناس وما يجرحهم.

4- المرأة و الاستهزاء:

ويتمثل استهزاء نزهون في هجاءها للمخزومي الأعمى حيث تقول:

قل للوضيع مقالا   يتلى إلى حين يحشر

من المدور أنشئـــ   ت و ...منه أعطر

حيث البداوة أمست   في مشيها تتبختر[2].

ومن خلال هذه الأبيات فإن الشاعرة تستهزئ من المخزومي فصورته لنا في صورة الوضيع، كما تستهزئ ببلده "الحصن المدور" الذي نشأ فيه، فتصفه بالبداوة ونحن نعرف من خلال الدراسات السابقة أن نزهون شاعرة المدينة "غرناطة "التي لا تتساوى أبدا بالمقارنة مع حصن المدور، واستعملت في ذلك ألفاظا غير لائقة وصورته بأبشع الصور.

1- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 296.

2- المرجع نفسه، ج1، ص 192.

5- المرأة و التكبر والترفع:

حيث تقول نزهون أيضا مخاطبة المخزومي:

خلقت أعمى و لكـــن تهيم في كل أعـــور
جازيت شعرا بشعـــر فقل لعمري من أشعر
إن كنت في الخلق أنثى فإن شعري مذكـــر[1].

وهجاء نزهون للمخزومي أعطت لنا فيه صورة للتكبر والترفع على العميان فوصفته بأبشع الصور حيث تترفع عليه وتشبهه بالأنثى، فهل هذا جائز لأنه تنقصه حاسة البصر؟ فتسترجل شعرها.

6- المرأة والحب:

وفي شعر الحب تقول نزهون:

حللت أبا بكر محلا منعتـــــــــه سواك وهل غير الحبيب له صدري
و إن كان لي كم من حبيب فإنما يقدم أهل الحق حب أبي بكــــــر[2].

من خلال هذه الأبيات تقول أن نزهون جريئة في غزلها حيث أنها أحبت بلا خجل، وهذا أيضا جديد على المرأة المرابطية، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على انفتاح شخصية الشاعرة على آفاق جريئة.

7- المرأة والافتخار:

ولنا في افتخار نزهون ما تقوله في موشحها " مرحبا بالزائر الحلو " وهي تخاطب أبي بكر بن سعيد تقول:

لم يدع في الحور منه عوضا عند رضوان
مرّ بي في ربرب من سربه يقطف الزهرا

1- سعد بوفلاقة ، الشعر النسوي، ص 118.

2- عبد الحميد ديوان، موسوعة أشهر النساء، ص 255.

وهو يتلو آية من حزبـــــه يبتغي الأجرا[1].

وهنا تكون نزهون قد أعطت لنا صورة الافتخار بنفسها، حيث صورت نفسها بالزهرة التي قطفها الحبيب من بين الربرب أي قطيع البقر، الذي مثلت به النساء الأخريات فتكون هنا قد حطت من قيمة الأخريات بهذا التشبيه الذي ليس فيه احترام للغير.

8- **المرأة والتسلط** : تقول ردا على هجاء المخزومي لها:

إن كان ما قلت حقا من بعض عهد كريـــم
فصار ذكري ذميما يعزي إلى كل لـــــوم
وصرت أقبح شيء في صورة المخزومي[2].

ومن خلال هذه الأبيات أعطت لنا أيضا نزهون صورة امرأة سليطة اللسان، ولعل هجاءها للمخزومي دون خوف أو حياء خير دليل على انفعالاتها التي صورت بها ذلك المهجو أسوأ تصوير.

وخلاصة القول في نهاية هذا الفصل هي أن نزهون شاعرة لها مركزها في عهد المرابطين، رغم قلة شعرها ورغم اتصافه بالمقطعات وليست قصائد في مجمله، إلا أن الباحثين والدارسين يصفونها بالجريئة وخفة الروح، والمعرفة بضرب الأمثال ...إلخ لكن من خلال دراستنا للصور الشعرية لهذه الشاعرة لم نجد الصور للمرأة الخجولة والمحتشمة، أو المرأة المثالية واللطيفة، أو الرزينة والعاقلة، فقد وجدنا صورا أخرى تندرج ضمن شخصيتها وهي كالآتي: صورة التكبر والترفع، صورة الاستهزاء صورة التسلط، صورة الافتخار، صورة السخرية...إلخ وهي كلها صورة تصف شخصية نزهون بامرأة حرة جريئة أعطت الحرية الكاملة للسانها في التهجم على الناس كذلك الحرية الكاملة في التغزل بالرجل وهذا كله جديد في المجتمع الإسلامي وخصوصا المجتمع المرابطي، فرغم اتصاف نزهون بالذكاء

---

[1]- إميل ناصيف، أروع ما قيل في الموشحات، ص 132.

[2]- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص 119.

وسرعة البدء فهي إلى جانب آخر كانت ماجنة غير محتشمة، ورغم اتصاف شعرها من الناحية الفنية بالسلامة والفصاحة، إلا أن شعرها كان أكثره في الهجاء والذي كان هجاء مقذعا وفاحشا لما يحمله من ألفاظ ساقطة، وألفاظ العورات.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، نشير إلي أهم النتائج التي توصلنا إليها طوال مدة بحثنا في هذا الموضوع وهي كالأتي:

رغم آراء بعض الدارسين حول المرابطين أو أدبهم إلا أننا نقول أنهم لهم مكانتهم الأدبية فكتبوا في الشعر والنثر وأثبتوا مكانتهم.

- اشتهرت بعض النساء الشاعرات والأديبات في عهد المرابطين وذلك راجع إلي الحرية التي أولوها للمرأة والرفع من مكانتها وقيمتها كطبقة وليس كعنصر أو كفرد.

- اشتهرت الشاعرات المرابطات في بعض الأغراض الشعرية مثل:

الغزل والرثاء والهجاء علي عكس المرأة المشرقية التي اقتصرت على غرض الرثاء.

- اشتهار بعض الشاعرات في غرض الغزل فتغزلت بالرجال دون حشمة أو خجل وذلك راجع إلي الحرية التي يتمتعن بها .

- انتشار غرض الهجاء انتشارا كبيرا بين الشاعرات فكان هجائهن لاذعا فاحشا عرف بالجرأة في مواجهة الخصم.

- معظم الشعر النسوي جاء بسمة المقطعات وليس قصائد في أغلبه.

- من خلال درستنا للصور الشعرية لنزهون القلاعي كنموذج وجدناها شاعرة جريئة أعطت الحرية الكاملة لنفسها في التغزل بالرجل دون حياء أو خجل.

- وشعر نزهون ينقسم إلي قسمين :قسم عفيف وهو ما عرفت به في غرض الغزل وقسم جريء عنيف غير عفيف وهو ما عرفت به في غرض الهجاء .

والي هنا نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا العمل المتواضع وأن نكون قد بذلنا الجهد الذي نستحقه.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2، دار الكتاب المصرية، مصر.

2- ابن خفاجة، ديوانه، ط1، تح: السيد مصطفي غازي، مطبعة المعارف، مطبعة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1960م.

3- ابن خقان، قلائد العقيان، ط1، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1320ه.

4- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدئ والخبر، مج6، ط3، القاهرة، مصر، 1284م.

5- ابن سعيد، اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، ط1، تح: إبراهيم الابياري القاهرة، 1959م.

6- ابن عذار المراكشي، البيان المعرب، ج3، ط1، دار المغرب الإسلامي، تح: محمد إبراهيم الكتاني، 1400ه، 1985م.

7- إميل نصيف، أروع ما قيل عن الموشحات، دار الجمل، بيروت، لبنان.

8- البخاري "الجهاد والسير"، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1444ه، 1993م.

9- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين. دار الشروق للنشر والتوزيع، لبنان، 2008.

10- التجيبيي، زاد المسافر، ط1، تح: عبد القادر محدد، بيروت، لبنان، 1970م.

11- راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ط1، كتب الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر.

12- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي أغراضه وخصائصه، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 1995م.

13- السلفي، معجم السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ط1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1963م .

14- صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلس، ط1، القاهرة، مصر.

15- عبد الحميد ديوان، موسوعة أشهر النساء في التاريخ العربي، دار كتابنا للنشر، المنصورية، مصر.

16- عبد الرحمان الجلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر.

17- عسي فوزي، الهجاء الأندلوسي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2008م.

18- عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

19- عمر رضا كحالة، المرأة في علمي العرب والإسلام، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

20- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ،ج4، دار العلم للملايين، الإسكندرية، مصر.

21- القري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ط1، تح: مصطفى الساقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، 1939م.

22- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، بيروت ، لبنان.

23- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مج1، ط4، دار غريب، مصر، 2008م.

24- محمد الأمين بلغيث، نظرات في التاريخ المغرب الإسلامي، دار الخلدونية، الجزائر.

25- محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب لسنة الثالثة من الطور الثانوي، الدار البيضاء، المغرب.

26- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ط1، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1964م.

27- محمد مجيد سعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ط3، دار الراية للنشر، 1429ه، 2008م.

28- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، الإسكندرية، 1975.

29- نزار عبدين، الشعر العربي، ملامح وشعراء، بيروت، لبنان.

30- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، ج4، ط1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1986م.

الفهرس